بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٠٤]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

انتهى بنا الكلام يوم أمس إلى التعليق على الحديث الثاني من أحاديث الأربعين النووية، وهو حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي فيه بيان مراتب الدين، وهي الإسلام والإيمان والإحسان، فانتهينا عند قوله لمّا سأل الرجل الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال (**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ**)، قال (**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ...) الحديث.

وحديث عمر جاء فيه ذكر السؤال عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، وفي حديث أبي هريرة جاء السؤال عن الإيمان ثم الإسلام ثم الإحسان، وفي طرق خرى خارج الصحيح، جاء السؤال عن الإسلام والإيمان وذُكر الإحسان بينهما، القصة واحدة والأقرب والأرجح أن يكون هذا من تصرف الرواة، تقديما وتأخيرا، وانتهينا عند السؤال عن الإسلام، وذكرنا منى الإسلام، النبي صلى الله عليه وسلم هنا فسّر الإسلام بالأعمال الظاهرة، وأول ركن من أركانه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، إذا جاء الكافر وقال: أشد أن لا إله إلا الله ولم يشهد أن محمدا رسول الله، فقال: هو رسول للعرب أو لبعض الناس، أو لا أشهد برسالته، أو هو رسول لكن لا يلزمني الشهادة بذلك، أو غيره، فلا يقال إنه دخل الاسلام، فلابد من الشهادة بالشهادتين.

أحيانا في بعض الأحاديث ذكر قول "**أن يشهد أن لا إله إلا الله**"، (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**)[1] ، فالكلمة هذه تطلق ويراد بها الشقين "**لا إله إلا الله، محمد رسول الله**" صلى الله عليه وسلم،

[1] [صحيح مسلم ٢١]

ومن شهد بهذه الشهادة ثبت له الإسلام حكما، ومن أتى بهذه الأركان الخمس فهذا مما يدل على تماما وكمال إسلامه، وأنه جاء بالإسلام حقا، لاستكماله لهذه الأركان الخمس، ولا يعني أن الإسلام يقتصر على الأركان الخمس فقط، بل من الإسلام أمور كثيرة جدا وهي واجبة، لكن أعظم أركانه هي هذه الخمس، سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير قال (**تُطعِمُ الطعامَ ، وتَقرَأُ السلامَ ، على من عَرَفتَ ، وعلى من لم تَعرِفْ**)[1]، وقال صلى الله عليه وسلم (**والمسلمُ من سلِمَ المسلمونَ من لسانهِ ويدِهِ**)[2]، وقال صلى الله عليه وسلم (**الإسلامُ ثمانيةُ أسهُمٍ: الإسلامُ سهمٌ، والصلاةُ سهمٌ، والزكاةُ سهمٌ، والصومُ سهمٌ، وحجُّ البيتِ سهمٌ، والأمرُ بالمعروفِ سَهمٌ، والنهيُ عن المنكرِ سهمٌ، والجهادُ في سبيل اللهِ سَهمٌ**)[3]، فأمور الإسلام الواجبة كثيرة، وأعظم أركانه هذه الخمس، فمن أتمها أتى بالإسلام حقا.

ومن شهد بالشهادتين فحُكم له بالإسلام ويلزم بالمجيء بباقي الأركان، فإن ردها ولم يعترف بوجوبها نقض شهادته، وإن جاء بها فهذا من كمال الإسلام، فإن لم يأت بالشهادتين فلا يعتبر أنه دخل الإسلام، أما تارك غير الشهادتين كتارك الصلاة والحج والصيام، فهل يكفر أو لا؟ هذا فيه خلاف بين أهل العلم، فإذن هذا الإسلام كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وقولنا تارك الأركان الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، إن تركها جحودا كافر، لكن إن يتكاسل ويتهاون في أدائها، أو تركها كسلا فهل يكفر أو لا؟ فالخلاف دائر بين أهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(**وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ**) تأتي بها إقامة أركانا وشروطا وواجبات.

(**وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ**) وهي قرينة الصلاة في كتاب الله جل وعلا، ولعلها ذكرت بنفس عددها.

(**وَتَصُومَ رَمَضَانَ**) وهو قادم علينا أسأل الله جل وعلا أن يبلغنا رمضان ونحن في صحة وخير وعافية، ويوفقنا لصيامه وقيامه إيمانا واحتسابا، وأن يوفقنا لليلة القدر لقيامها إيمانا واحتسابا.

(**وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إنْ اسْتَطَعْت إلَيْهِ سَبِيلًا**) وهو بشروطه وأركانه، وهذه مباحثها في الفقهيات، ومرت معنا في شروح بعض المتون الفقهية، أو الحديثية.

[1] [صحيح البخاري ٦٢٣٦]
[2] [رواه الشيخان]
[3] [صحيح الترغيب ٧٤١: حسن لغيره]

(قَالَ: صَدَقْت) لما حدثه عن الإسلام قال **(صدقت)**.

[السؤال قصد أن يستفيد المستمع لا السائل]

(فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!) الأصل في السائل أن لا يكون يدري، فكيف يقول صدقت؟ كيف يصدّقه؟ إذا صدّقه دلّ على أنه وافقه، وإذا وافقه دلّ على أنه كان يعلم، وإذا كان يعلم فلماذا يسأل؟ هذا هو وجه التعجب **(فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ)** والسائل الأصل فيه أنه لا يعلم، **(وَيُصَدِّقُهُ!)** والمصدِّق إنما يصدق لأنه توافق معه فيما يعتقد أو يقول.

لكن المراد أن جبريل عليه السلام جاء ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم ليتعلم الصحابة الكرام، ومن ثمة قال أهل العلم أن السؤال ليس فقط سؤال تعلّمٍ، أن يسأل فقط ليتعلم لأنه لا يعرف، بل من السؤال قسم وهو أن الذي يعلم ثم يرى في المجلس من لا يعلم فيريد أن يعلّمه بأن يسأل الشيخ، أو العالم، فيجيب ويتعلم غيره، ولهذا ينبغي لمن أدرك مثل هذه الأمور أن يفيد غيره، لربما تأتي مجلس علم وتعلم أن من الناس من لا يعرف كذا وكذا مما يلزمه أن يعرفه، أو إدراكه له على وجه الخطأ، أو على وجه الناقص، فتسأل المتصدر في التعليم تريد أن تعلّم غيرك، وهذا من أنواع الخير، ومن أنواع الإحسان، والهداية، ومن أنواع التعليم.

(فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!) فليس فقط أن الإنسان يسأل عما يجهل، بل إن كان يعلم أن في الناس من يجهل، وأنهم يستمعون لهذا الذي يتكلم، أو أن يعلم أن فيهم من يعلم بعض هذه المسائل على وجه الخطأ، فيسأل في المجلس ليتعلم هؤلاء، أو ليصححوا أفهامهم، وما أدركوه.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ) فذكر الإيمان بأركانه الستة.

[الإيمان لغة وشرعا]

(قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) الإيمان لغة: هو التصديق عن إقرار، ليس التصديق فقط، بل تصديق بإقرار أن يصدق القلب مقرا بالشيء، ثم إن الإيمان من لفظ (أمِنَ)، و(آمَنَ) وهو يتعدى بنفسه وباللام وبالباء، فتختلف معانيه بهذه الاعتبارات، كما ذكر أهل العلم، فـ(أمِنتُه) من الأمانة، و(آمَنتُه) أي أدخلته في الأمان، و(آمنتُ له)، ﴿وَمَآ أَنتَ

بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾يوسف١٧، هنا تُعدّى باللام، (بِمُؤْمِنٍ لَنَا) مصدّقٍ لنا، ويتعدى أيضا بالباء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾النساء١٣٦، فهو يتضمن معنى التصديق مع الإقرار، ليس التصديق فقط، فالإيمان لغة آمَنَ بالشيء أي صدّق مقرًّا، هذا هو الصحيح كما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه.

أما شرعا فالإيمان قول وعمل كما قال السلف الصالح، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل اللسان والجوارح، فأما قول القلب فهو التصديق مع الإقرار، هذا أصله، وأما عمل القلب فهو الإخلاص لله جل وعلا، والمحبة والخوف والتعظيم، فهذا عمل القلب.

وأما قول اللسان فما يلزمه كالشهادتين، ومنه أيضا عمل اللسان وهو تحريك اللسان للنطق بما يلزمه كالشهادتين.

وأما عمل الجوارح فهي سائر الأعمال التي يقوم بها بأعضائه وأركانه وجوارحه، كالصلاة والزكاة والصيام، والحج وغيرها من الأعمال.

فهذا هو الإيمان قول وعمل، أو كما قال بعض أهل العلم "**قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان**" أو كما قيل -وينسب للحسن البصري- (**ليس الإيمان بالتحلي والتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل**)، فيشمل القلب والعمل واللسان، هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة، قول وعمل.

وهاهنا وقع الخلاف وظهرت فرق كثيرة تخالف أهل السنة في معنى الإيمان، منها فِرق تقول كقول أهل السنة والجماعة "**إن الإيمان قول وعمل**" لكن تخالفها في أمور أخرى، وفِرق أخرى تخالف أهل السنة والجماعة في كون الإيمان قول وعمل، فتزعم أن الإيمان قول فقط، أو الإيمان تصديق وقول، أو الإيمان هو التصديق فقط، أو الإيمان هو المعرفة فقط، وهذه فرق تختلف في نفسها في مسائل أخرى في مسائل في باب الإيمان، كما أوضح مجموع هذه الفرق شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتابه الإيمان الأوسط.

[حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة]

والصحيح ما عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، وأن العمل من الإيمان، وقد سمى الله جل وعلا إيمانا في غير ما آية، وجاء في غير ما حديث، قال جل وعلا ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾البقرة١٤٣، أي صلاتكم، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم **(الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ أو بِضْعٌ وستُّونَ شُعبةً. فأفضلُها قول لا إلهَ إلَّا اللهُ. وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ. والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ)**[1]، وقال صلى الله عليه وسلم**(لا يَزني الزَّاني حينَ يَزني وَهوَ مُؤمنٌ، ولا يَشربُ الخمرَ شاربُها حينَ يَشربُها وَهوَ مُؤمنٌ، ولا يَسرقُ السَّارقُ حينَ يسرقُ وَهوَ مُؤمنٌ)**[2]، وقال صلى الله عليه وسلم مبينا الإيمان لوفد عبد قيس **(آمرُكم بأربعٍ وأنهاكم عن أربعٍ : آمرُكم بالإيمانِ باللهِ، وهل تدرون ما الإيمانُ باللهِ، شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ)**[3] فسر الإيمان بالإسلام أي بالأعمال. وأما قوله في بعض الآيات ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾البقرة٢٥، ليس المقصود أن العمل غير داخل في الإيمان، لكن هذا من باب عطف الخاص على العام، وهذا وارد في كثير من المواضع في كتاب الله جل وعلا، مثل قوله تبارك وتعالى ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾القدر٤، الذي هو جبريل عليه السلام، وهو من الملائكة، وقوله تبارك وتعالى﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾البقرة٩٨، جبريل أليس من لملائكة؟ بلى، وميكال أليس هو من الملائكة؟ بلى، ولكن من باب عطف الخاص على العام، وعطف الخاص على العام يفيد التأكيد والتعظيم لهذا الأمر الخاص، والتأكيد عليه، فقوله ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدل على ضرورة العمل في الإيمان، وأنه لابد منه، فأهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان قول وعمل، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل اللسان، وأيضا عمل الجوارح.

[تفاضل الناس في الإيمان]

وإن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن أهل الإيمان يتفاضلون فيه، في أصله وفرعه، فيتفاضلون في التصديق، وفي الإقرار، وفي الإخلاص، وفي المحبة، وفي التعظيم، وفي الخوف

[1] [صحيح مسلم ٣٥]
[2] [صحيح النسائي ٥٦٧٥]
[3] [رواه الشيخان]

والرجاء، يتفاضلون في القول، يتفاضلون في المعرفة، يتفاضلون في الأعمال، وقد قال صلى الله عليه وسلم (**إنَّ الرجلَ لَينصرفُ و ما كُتِبَ له إلا عُشرُ صلاتِه، تسعُها ، ثُمنُها**) حتى وصل إلى (**نصفُها**)[1]، وهذا يدل على أنهم يتفاضلون، وقد سمى الله جل وعلا الصلاة إيمانا ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾البقرة١٤٣، لمّا حُولّت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، قال الصحابة: مات أناس ولم يصلوا إلى الكعبة، وإنما صلوا إلى بيت المقدس، يعني فما هو حكم صلاتهم، فأنزل الله جل وعلا﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ البقرة١٤٤، إلى آخر لآية، وقال ذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾البقرة١٤٣، ماكان الله جل وعلا ليضيع صلاتكم، فسمى الصلاة إيمانا، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الصلاتين يتفاوتون فيها، فالإيمان يتفاوت فيه أصحابه، ويتفاضلون.

والإيمان يزيد وينقص قال حنظلة وهو ينادي على نفسه وقد سمعه أبو بكر (**نافق حنظلة**) فقال أبو بكر (**ولمَ**)، قال (**نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كأننا نرى الله عيانا، فإذا عافسنا وخالطنا وعاشرنا الأزواج والأولاد صرنا إلى ما صرنا إليه**)، فقال أبو بكر (**فوالله إنا لنلقى مثل هذا**) فانطقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له حنظلة (**يا رسول الله إذا كنا معك كنا على كذا، وإذا خرجنا وعاشرنا وعافسنا النساء والأولاد صرنا إلى كذا وكذا**) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (**والذي نفسي بيده! إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذِّكر، لصافحتْكم الملائكةُ، ولكن، يا حنظلةُ! ساعةٌ وساعةٌ** ")[2] إذن قول حنظلة أنهم إذا كانوا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين يديه، يكونون على حالة عالية في الإيمان وقوته، وإن خرجوا وخالطوا أمور الدنيا بيعا وشراء ومع أمور الأولاد، وأمور النساء الزوجات، يكون الأمر على غير، إذن فيه تفاضل، الإنسان في نفسه يكون فيه تفاضل زيادة ونقصان، والنبي صلى الله عليه وسلم أقر على ذلك، والإنسان يرى هذا من نفسه، فتتمثل بين يديه المعصية ويترفع عنها، لما يجد في قلبه من قوة الإيمان، وأحيانا يتردد يفعل أو لا يفعل، وأحيانا

[1] [صحيح الجامع ١٦٢٦]
[2] [صحيح مسلم ٢٧٥٠]

تجده منغمسا فيها، ما الذي غمسه أو جعله يتردد، أو جعله في حالة أخرى يعرض عنها إعراضا غير ملتفت، ولا تؤثر فيه لا من قريب ولا من بعيد؟ قوة إيمانه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم **(ما رأيت من ناقصات عقْلٍ ودين، أذهب للب الرجلُ الحازم، من إحداكن)**[1] الحديث في صحيح مسلم، يعني مما يؤثر في الإنسان المؤمن الحازم النساء، وهذا يدل على أن الإيمان ينقص، أما زيادته ففي آيات كثيرة ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾مريم٧٦،﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾الفتح٤، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾آل عمران١٧٣، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾البقرة٢٦٠، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في إثبات زيادة الإيمان ونقصانه، وهذا الإثبات للزيادة والنقصان، سواء في الأصل أو في الفرع، فخطأ قول بعضهم **(وأهله في أصله سواء)**، وقول من قال **(وأما أصل التصديق فلا يتفاوتون فيه)** هذا خطأ، بل يتفاوتون فيه، ولا أحد يمكن أن يقول إن تصديقه كتصديق أبي بكر رضي الله عنه، لا يمكن أن يقال هذا، فالناس يتفاوتون، كما يتفاوتون في التصديق يتفاوتون في الأعمال، والأقوال، وغير ذلك.

[مطلق الإيمان والإيمان المطلق]

والإيمان عند أهل السنة والجماعة قد يزول بالكلية، وقد يزول بعضه، فليس هو كلًّا متكاملا، إن زال زال كله، وإن بقي بقي كله كما تقول بعض الفرق المبتدعة، بل أهل السنة والجماعة يقولون، قد يذهب بعض الإيمان ويبقى بعضه، بشرط أن لا يكون هذا الذي وقع فيما يذهب الإيمان أن لا يكون وقع في ناقض من نواقض الإيمان التي تنق إيمانه وإسلامه بالكلية، لكن قد يفعل ما يزيل بعض إيمانه، وقوله صلى الله عليه وسلم **(لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)**[2]، هل يعني أنه يكفر؟ لا، وإنما **(لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن)** الإيمان المطلق، لكن هو داخل في مطلق الإيمان، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المسألة هذه بناء على الخلاف فيها وجد وانتشر مذهب الخوارج والمعتزلة ظن وهو الفاسق الملّي، الذي يرتكب المعصية والكبيرة، يسميه أهل السنة الفاسق الملّي، مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، فقال شيخ الإسلام: أما هذا فلا نسلب مطلق الإيمان ولا نثبت له الإيمان المطلق، الإيمان المطلق الذي يشمل الصفات الكاملة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

---

[1] [رواه الشيخان]
[2] [سبق تخريجه]

تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾الأنفال٢-٣، ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٢٩﴾ المعارج٢٤-٣٤، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾المؤمنون١-٤، إلى آخر الآيات، هذا الإيمان المطلق، الذي يشمل صفات الكمال، الواجب والمستحب.

فالإيمان المطلق لا يعطى للعاصي، العاصي ما كمّل الإيمان، لا الواجب ولا المستحب، لكن لا نسلبه مطلق الإيمان، وهو أصل الإيمان لأن هذا الفاسق العاصي عنده شيء من التصديق، وعنده شيء من الإقرار، عنده شيء من المحبة والخوف والرجاء والتعظيم، وعنده شيء من أقوال اللسان وأعمال الجوارح، فلا تسلبه مطلق الإيمان كما قال شيخ الإسلام، وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة، ومن المسائل التي وقع فيها الخلاف.

[الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا]

وقع الخلاف أيضا في الإسلام والإيمان، هل هما بمعنى واحد أو هما بمعنى مختلف، ولأهل العلم في ذلك كلام طويل، لكن ألخص في كلام ابن رجب رحمه الله، حيث قال: ومن الأمور والقواعد المقررة، أن بعض الكلمات تشمل الكثير من المسميات، لكن إذا أُفردت شملت كل هذه المسميات، وإذا اقترنت بكلمة أخرى، شملت بعض هذه المسميات، كلمة إذا أطلقتها، دلت على مسميات متعددة، لكن إذا ضمت معها كلمات أخرى، صارت تدل على جزء من تلك المسميات، مثل قوله تبارك وتعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾النحل٩٠، الإحسان أليس من العدل؟ العدل أيس من الإحسان؟ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾المائدة٢، أليس البر تقوى؟ أليست التقوى من البر؟ بلى، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾التوبة٦٠، أليس المسكين فقيرا؟ بلى. فإذن هذه الكلمات إذا أطلقت شملتْ مسميات، إذا قُرنت بكلمة أخرى صارت مقصورة على بعض المسميات، الإيمان إذا أطلق شمل الأعمال الباطنة والظاهرة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾البقرة٢٧٨، (آمنوا) لفظ الإيمان ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

إِخۡوَةٞ﴾الحجرات١٠، المؤمن يشمل من أتى بالأعمال الباطنة والظاهرة، ولفظة الإسلام إذا أطلقت تشمل الأعمال الظاهرة والباطنة كذلك، فإذا اقترن الإسلام بالإيمان صار الإيمان يدل على الأعمال الباطنة، والإسلام يدل على الأعمال الظاهرة.

فأخطأ من قال: النبي صلى الله عليه وسلم فسّر الحديث بأن الإسلام يشمل الأعمال الظاهرة، والإيمان يشمل الأعمال الباطنة، إذن العمل ليس من الإيمان! خطأ! كما قال العلماء، وإنما المقصود هو هذا الضابط الذي ذكرناه، وقد قرره الحافظ ابن رجب رحمه الله، وقرره من قبله غير واحد من أئمة السنة، ووسع الكلام فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ويدل على هذا نصوص، ذكرنا لكم آيات تدل على أن الإيمان يطلق على العمل، وذكرنا آيات وكذلك أحاديث فيها أن الإيمان يشمل العمل، كما أن الإسلام كما يشمل العمل يشمل أيضا الأمور الباطنة (**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**) وهذا يشمل أمورا باطنة أيضا، لأن صحة هذا الإسلام متوقفة على صحة هذه الشهادة في الباطن، أن يكون المرء صادقا فيها على ما ذكرنا من الشروط في "لا إله إلا الله" في درس الأمس، فإذن هذه المسألة تُذكر ويطول الكلام حولها وهذه خلاصتها.

[الركن الأول: الإيمان بالله تعالى]

ذكر للإيمان ستة أركان:

١= الإيمان بالله، الإيمان بالله جل وعلا يشمل الإقرار والاعتراف بوجوده، ووجود الله جل وعلا دلت عليه أدلة كثيرة، دل عليه الدليل العقلي قال جل وعلا﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾الطور٣٥، هؤلاء الذين ينكرون وجود الله، هل خلقوا هكذا من غير خالق، أم هم خلقوا أنفسهم؟ أي الجوابين؟ هذا الذي ينكر وجود الله نقول له: خلقت نفسك؟ لو أنك خلقت نفسك إذن اخلق لنا آخر، هل خُلقت من غير خالق؟ لا يصح لا يقبله العقل، إذن خلق كخالق، ولهذا قال مطعم بن جبير رضي الله تعالى عنه مر على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة الطور في المغرب، فقرأ ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾الطور٣٥-٣٧، قال **(كاد قلبي أن يطير، وكان ذلك أول ما وقر في قلبي من الإيمان)**[1]، ثم أسلم رضي الله عنه وأرضاه.

فهذا واضح، والشيء إذا وضعته في مكان، إما أن يكون الشيء وضع نفسه ونقله، أو وجد هناك من غير ناقل، أو نقله ناقل، ولا شك أنه نقله ناقل، وعلا﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾الطور٣٥ ما خلقوا أنفسهم، ولا خلقوا من غير خالق، إذن لابد من وجود خالق.

والأدلة الحسية التي نراها ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ﴾فصلت٥٣،﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾يونس١٠١،﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾إبراهيم١٠، حسية.

وأدلة فطرية، الفطرة تدفع الإنسان إلى أن هناك خالق، خلق الناس، وهذا بناء على العهد الذي أخذه ربنا جل وعلا من ذرية بني آدم وهم أمثال الذر كما قال جل وعلا﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة {ذُرِّيَّاتِهِم}، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾الأعراف١٧٢-١٧٣.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾الروم٣٠، ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، والإقرار بالرب جل وعلا المعبود بحق سبحانه وتعالى.

وأما الأدلة الشرعية فكثيرة في الآيات والأحاديث، ومن الأدلة الحسية ومن الأدلة الحسية تأييد رب العالمين لرسله وأنبيائه وهم أرفع، وكذلك لأوليائه، ولأهل الصلاح والتقوى، بتأييدهم ونصرهم على أعدائهم.

[1] [صحيح البخاري ٤٨٥٤]

فهذا مما يتضمنه الإيمان بالله جل وعلا، والإيمان بربوبيته وأنه الخالق المالك المدبر لشؤون الخلق جميعا، والإيمان بألوهيته وأنه المعبود بحق، وهذا أصل التوحيد، وهو الأصل الذي جاءت كل الرسل تدعو إليه، بل هو زبدة دعوة الرسل، وهو أصل دعوة الرسل، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾الأنبياء٢٥، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾النحل٣٦، وكم من نبي أرسله الله جل وعلا يدعو قومه إلى هذا؟ ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾الشعراء١٠٥-١٠٨، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾الأعراف٦٥، ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾هود٢٥-٢٦، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ الأعراف٧٣، إلى غير ذلك من الآيات.

ويتضمن الإيمان بالله الإيمان بالأسماء والصفات، وحاصل ذلك أن الله جل وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأن نسمي الله جل وعلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن أسماءه حسنى بلغت الغاية في الحسن، وعددها كثير، ومن خصائصها أن من أدرك وأحصى تسعة وتسعين اسما دخل الجنة، أن يعلمها ويعدّها ويفهمها ويحفظها ويعمل بمقتضاها، وأنها بالغة في الحسن غايتها.

وأن لله جل وعلا الصفات العلا، فيثبت ما أثبت الله لنفسه، من الصفات، وينفي عن الله ما نفى عن نفسه، وأن لا يغير معاني الصفات، فيثبت الصفات دون تعطيل، ولا تحريف، دون تعطيل إنكار ورد، ولا تحريف ميل عن معناها الصحيح الحق الذي دلت عليه اللغة، إثبات من غير تعطيل ولا تحريف.

وإثبات من غير تمثيل ولا تكييف، يثبت الصفات دون أن يقول هي مثل صفة كذا، أو لها كيفية كذا، وأن ينفي عن الله جل وعلا ما نفاه عن نفسه، نفي من غير تعطيل ولا تحريف، ولهذا كانت أصول الإيمان من الأسماء والصفات كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إثبات ما أثبت الله

لنفسه، أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفي ما نفى الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإثبات للصفات والنفي من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل، والأمر الآخر أن تقطع البحث، ولا تبحث عن كنه هذه الصفات، أي عن كيفيتها لكن معناها معلوم، وهو ما دلت عليه اللغة، أما حقيقة كيفية الصفة فلا يعلم بذلك إلا الله جل وعلا، وإن كان لها كيفية، الصفات لها كيفية يعلمها الله جل وعلا، استأثر ذلك في علم الغيب عنده.

والإيمان بالأسماء والصفات أمر عظيم، ومن أنواع التوحيد الجليلة، قد ذكر الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله أن من الأمور التي تدل دلالة واضحة على أن لا معبود بحق إلا الله، وما يقوي ذلك، قال: التعلم لهذا النوع من أنواع التوحيد، ألا وهو الأسماء والصفات، هذا ما يتضمنه الإيمان بالله جل وعلا.

[الركن الثاني: الإيمان بالملائكة]

٢= الإيمان بالملائكة وأنهم خلقوا من نور، وأنهم مخلوقون عباد للرحمن لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، وأن لهم أجنحة، ويختلفون في ذلك، وأن كل ملك قد وُكِل بوظيفة من الوظائف، ولا نسمي منهم إلا ما ثبتت تسميته، كجبريل الموكّل بالوحي وإنزاله، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور كما أجمع على ذلك العلماء، وميكائل الموكل بالنبت وإنزال المطر والماء من السماء، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومالك وهو خازن النار، وأيضا خازن الجنة وجاء في بعض الأحاديث وفيها مقال وفي إسنادها ضعف أن اسمه رضوان، ومنكر ونكير وهما اللذان يقعدان الميت بعد موته، فيسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من الرجل الذي بعث فيكم؟ فهذه جاءت تسميتها.

وأيضا الملائكة الحفظة، والكتبة، عن اليمين والشمال يكتبون ما يفعل الإنسان وما يقول، وملائكة تسيح في الأرض تبحث عن حلق الذكر، فإذا وجدتها تنادت وحفّت هذه الحلق إلى السماء، وملائكة تتعاقب في بني آدم في العصر والفجر، وترتفع إلى الله جل وعلا إلى السماء فتُخبره بما تركت عليه بنوا آدم يفعلون، وملائكة وقد وكلوا بالركوع، وملائكة وكلوا بالسجود، وغير ذلك.

[الركن الثالث: الإيمان بالكتب]

٣= (**وَكُتُبِهِ**) جمع كتاب، وهي التي أنزلت على الرسل، وهي تتضمن الشرائع والعقائد والأمثال والحكم والآداب، وهي كتب كثيرة وما من رسول إلا وأنزل الله معه كتاب أو صحف، فنؤمن بكل ما أنزله الله جل وعلا، لكن لا نسمي إلا ما ثبتت تسميته، القرآن أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الزبور على داود، والتوراة على موسى، والصحف أيضا على موسى، والإنجيل على عيسى، وإبراهيم أوتي الصحف كذلك، وأن القرآن مهيمن عليها، شامل لها، وناسخ لشرائعها، وأن التوراة هي من أعظم كتب بني إسرائيل، وأكثرها اشتمالا على الأحكام، وأن الإنجيل كان أكثر ما فيه المواعظ والأمثال، والحكم، وجاء فيه شيء تحريم ما سبق تحريمه على بني إسرائيل، والزبور يذكرون أنه تكثر فيه الأمثال والمواعظ.

[الركن الرابع: الإيمان بالرسل]

٤= وأما الإيمان بالرسل فالاعتقاد أنهم بعثهم الله تبارك وتعالى، الرسل والأنبياء، وقيل النبي من أوحي إليه بوحي ولم يؤمر بتبليغه، والرسول أمر بتبليغه، وقيل النبي جاء بشريعة من قبله، والرسول جاء بشريعة جديدة، وقيل النبي هو الرسول، ولعل الأقرب كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن النبي غالبا إنما يُبعث إلى أقوام فيهم الإيمان والتوحيد، فيجدد عليهم أمر الدين، بخلاف الرسول، فيأتي إلى أقوام منكرين معاندين، مشركين، فيهم تعنت، فيحيي فيهم التوحيد والإيمان الصحيح، ولهذا الغالب أن يكون من الرسول شرع جديد بخلاف النبي.

وأن الرسل والأنبياء إنما هم من الرجال، ولا يوجد امرأة نبية أو رسولة، والرسل والأنبياء إنما هم من الإنس، وليسوا من الجن، كما قال تبارك وتعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الأحقاف٢٩-٣٠، فالجن فيهم مبلّغون، وليس فيهم رسل ولا أنبياء.

وأن الرسل ولأنبياء على صفات جليلة عظيمة، وهم صفوة الخلق، اختارهم الله جل وعلا واصطفاهم ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ الحج٧٥، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ الأنعام١٢٤، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ الزخرف٣١-٣٢، الله تبارك وتعالى هو الذي يعلم من يصطفيه من غيره، ومما لا يصطفى، فلهم صفات عظيمة جليلة ينزّهون عن النقائص وهم بشر، لا يرفعون إلى مقام الربوبية والألوهية، وإنما يعظّمون التعظيم الذي أنزله الله إياه، قال صلى الله عليه وسلم **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا: عبد الله ورسوله)**[1].

والصحيح أن الرسول غير النبي على ما ذكرناه، ويدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الحج٥٢، أي ولا أنبأنا من نبي، وعدد الأنبياء ١٢٤٠٠٠، وعدد الرسل من ذلك ٣٠٠ وبضعة عشر، قيل و١٥، قيل و١٧، قيل و١٣، وهذا يدل على أن الرسل غير الأنبياء، وأن أفضل الرسل أولو العزم وهم: نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد دل على ذلك الدليل، ثم موسى عليه الصلاة والسلام، والتفضيل بين عيسى ونوح عليه الصلاة والسلام لا يوجد فيه ما يدل دلالة صريحة.

والتفضيل بين الأنبياء والرسل ثابت، ﴿۞تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ البقرة٢٥٣، ولكن لا يجوز التفضيل من باب الافتخار، والتنقيص، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام **(لا يقولن أحدُكم : إني خيرٌ من يونسَ بن متى)**[2]، ولمّا اختلف وتلاطم المسلم مع اليهودي واشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له قصة، وأن اليهودي حلف برب موسى، فحلف المؤمن برب محمد صلى الله عليه وسلم، فلاطم اليهودي وقال كيف تحلف وتذكر موسى ونبينا صلى الله عليه وسلم موجود، فقال **(لا تخيّروني من بينِ الأنبياءِ، فإنَّ الناسَ يُصعقون يومَ القيامةِ، فأكون أولَ من يُفيق، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فلا أدري أفاق قبلي، أم جُوزيَ بصعقةِ الطورِ)**[3] هذا في الأنبياء والرسل.

---

١ [صحيح البخاري ٦٨٣٠]
٢ [رواه الشيخان]
٣ [صحيح البخاري ٦٩١٧]

ولا نسمي منهم إلا ما ثبتت تسميته بالدليل، ونعلم من تسميتهم عددا، في القرآن ذكرت تسمة خمسة وعشرين منهم، ثمانية عشر ذكروا على نسق واحد في الأنعام، في الآية رقم ٨٣، قال تبارك وتعالى في قصة إبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾الأنعام٨٣-٨٦، هؤلاء ثمانية عشر، أضف إلى ذلك آدم وشعيب، وصالح، وهود، وذو الكفل، وإلياس، أو اليسع، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فصار العدد خمسة وعشرين نبينا ورسولا.

[الخضر ويوشع بن نون عليهما السلام]

وذُكر في القرآن اثنان، غير مسمين، وهذا في سورة الكهف قال الله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾الكهف٦٥، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (**لما لقي موسى الخضر**)[1] فسماه الخضر والصحيح أنه نبي، وليس كما قال بعضهم أنه ولي، وأدلة نبوته كثيرة، قوله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾الكهف٦٥قال العلماء باستقراء القرآن، إضافة لفظ العبد المجموع إنما هو في حق الأنبياء والرسل.

قوله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ الكهف٥٦، هذا إنما يكون في حق الأنبياء والرسل، أفعاله التي فعلها، خرق السفينة، قتل الولد، بناء الجدار، ولا يقدم على قتل ولد إلا بوحي، وإلا فكيف يعلم أنه سيكون كافرا لو كبر؟

قوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾الكهف٧٢، وكيف يكون ولي أرفع علما من نبي رسول موسى عليه الصلاة والسلام؟ هذا من أظهر الأدلة على أنه نبي.

والثاني ذكر في سورة الكهف أيضا﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾الكهف٦٠، جاء في حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن موسى عليه السلام لما قيل له: أتعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا أعلم، فأوحى إليه ربنا

---

[1] [رواه الشيخان]

عز وجل: بلى عبدنا الخضر، فخرج موسى مع فتاه يوشع بن نون، سماه النبي صلى الله عليه وسلم "يوشع بن نون"، وجاء في الحديث أن الشمس لم تمسك ولم تُحبس إلا لنبي من الأنبياء لمّا غزا، وجاء في حديث آخر قوله صلى الله عليه وسلم: لمّا غزا يوشع بن نون بيت المقدس قربت الشمس على الغروب فقال يوشع بن نون (**أنت مأمورة وأنا مأمور اللّهُمَّ احبسها عني شيئا**) فحبست له لأنه كان في شريعتهم يمنع الجهاد والغزو بعد غروب الشمس، فحُبست حتى فُتح بيت المقدس بعد أن طُرد منه اليهود، ففتح بيت المقدس فغربت الشمس[1]، فدل أن يوشع بن نون نبي من الأنبياء، وهو فتى موسى المذكور في سورة الكهف، فصار العدد سبعة وعشرين، خمسة وعشرون في الكتاب، واثنان مذكوران من غير تسمية وسمّوا في السنة، فصار العدد سبعة وعشرين.

ذكر الحافظ ابن كثير أن من الأنبياء نبي الله شيث، وأن الله عز وجل أنزل عليه خمسين صحيفة، ذكر هذا في كتابه "**البداية والنهاية**"، وعزا الحديث إلى ابن حبّان، والحديث متكلم في إسناده.

فلا نسمي إلا من ثبتت تسميته، أما ما لم تثبت تسميته فلا نسمي، مثل ما يسمي بعضهم ملك الموت بـ"عزرائيل"، هذا خطأ، لم ترد تسميته بذلك.

[الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر]

(**أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**)، وما يتعلق به من أهوال، بدأً من الموت وأهوال الموت وأحوال الموت، وما بعدها إلى يوم القيامة، الموت يتضمن السكرات، والاحتضار، وخروج الروح من الجسد، ومفارقتها له، ودفن الإنسان في القبر، وما يتعرض له من سؤال منكر ونكير، وما في القبر من عذاب أو نعيم، نسأل الله عز وجل أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وتمني المنعَّم فيها أن تقام الساعة ليرجع إلى أهله، وتمني المعذَّب فيها أن لا تقوم الساعة، لأن عذابه سيكون أشد، وما في القبر من أنواع العذاب لأجل ترك بعض الأعمال الصالحة التي هي واجبة، أو ما فيها من العذاب من أجل الوقوع في بعض المعاصي، وأن صاحبه يعذب في القبر بكذا وكذا.

وأن العذاب يقع على الروح كما يقع على الجسد، وأن الروح كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قد تكون تتراوح بين أن تُعلّق في شجرة في الجنة، بخلاف أرواح الشهداء فإنها في حواصل طير خضر تروح

[1] [نحوه في الصحيحين]

وتسرح في الجنة حيث شاءت، أما أرواح المؤمنين فهي في حواصل طير معلقة في الجنة، أو في شجر الجنة، لكن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قد تتراوح الروح بين ارتفاعها في الجنة، ونزولها إلى جسد الإنسان نفسه، وأن حياة القبر غير حياة الدنيا...

وأهوال يوم القيامة، بدءً بأشراط الساعة، الصغرى والكبرى، ثم قيام الساعة، وعندها يكون البعث والنشور، ثم الحشر، ثم نزول الرب جل وعلا للفصل والقضاء بين العباد، ثم الميزان، والصراط، والحوض، ونشر صحائف الأعمال، وإعطاء الكتب، فريق بأيمانهم، وفريق بشمائلهم من وراء ظهورهم، ومجيء الأشهاد من الكتب والأعضاء والرسل والعلماء، وكذلك الحساب والعرض، المحاسبة على الأعمال، وعرض الأعمال على المؤمن، والمرور على الجسر، وهو قنطرة دون الجنة يتقاص فيها من يدخل الجنة قبل دخولهم...

ثم ذكر الجنة والنار وأن النار خلود ولا موت فيها، وأن أهل الجنة يخلدون ولا يموتون فيها، ونعيم الجنة وتفاضل الناس فيه، وعذاب أهل النار، وتفاوت الناس فيه، وذكر الشفاعة وأنواعها، كل هذا مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر، وهو جاء في كتاب الله جل وعلا، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

[الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر]

٦- (**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**) والإيمان بالقدر يشمل الإيمان والاعتقاد والتصديق والإقرار بأربعة أركان:

أ- أن تقرّ بأن الله عز وجل كتب كلّ شيء ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ الحديد٢٢، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ الكهف٤٩، ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾يس١٢، (**كتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ**)[1]، في حديث الصحيح، فالله جل وعلا قد كتب كل شيء.

[1] [صحيح مسلم ٢٦٥٣]

ب= وعلِم كل شيء أيضا، يعلم كل شيء ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾الأنعام٥٩، أحاط بكل شيء علما، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾آل عمران٢٩، علم كل شيء، إذن علم كل شيء وكتب كل شيء.

ج= وهو الذي يخلق كل شيء ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾الأنعام١٠٢، لا يوجد شيء في هذا الوجود إلا وهو خالقه جل وعلا.

د= والأمر الرابع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يوجد في الدنيا إلا ما يشاؤه جل وعلا، وفرق بين المشيئة التي هي بمعنى الإرادة الكونية، وبين المحبة، وهي الإرادة الشرعية، لا يلزم أن الله تعالى إذا شاء الشيء أن يحبّه، قد يقول قائل: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، الله عز وجل لا يشاء الكفر فكيف يوجد؟ خطأ، نقول: الله لا يحب الكفر، ولا يريده شرعا، لكن أراده كونا، وشاءه ولا تعارض بين إرادة كونية وإرادة شرعية، الإنسان المريض إذا وقع في بعض أعضائه التآكل، هذا المرض الأكلة، صار في عضوه تعفّن، إن تركه أتى على كلّ العضو، وإن قطع شيئا منه أزال عن نفسه المرض، وقع في أصبعه التآكل، إن قطع أصبعا بقي بأربعة، وسلمت كلّ اليد، وإن تركه فسدت يده كله وربما قطعت اليد كلها ولربما مات، أليس -هذا الإنسان- يقدم على قطع الأصبع؟ فإن قلنا له: هل تريد قطع أصبعك؟ يقول: نعم، هل تحب؟ لا يحب!.

والوالد يقدم ولده للمداواة، ولربما يؤلمه الدواء، هل يريد لابنه أن يبرأ؟ يريد، هل يحب أن يتألم ابنه؟ لا يحب، إذن لا تعارض بين المحبة -الإرادة الشرعية-، وبين المشيئة -الإرادة الكونية-، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما وجد في الدنيا الله عز وجل هو خالقه، وهو الذي شاءه، فإن كان مما يحبه ويرضاه فهو يحبه ويرضاه، وإلا فإنه يبغضه ويكرهه، وإن كان هو الذي شاء عنده، وله في ذلك الحكمة البالغة، هذه أركان القدر، وقد جمعها الإمام الشافعي في أبيات لمّا سئل عن القدر فقال:

ما شئتَ كان وإن لم أشأْ * وما شئتُ إن لم تشأْ لم يكنْ**

خلقت العباد على ما علمتَ * ففي العلم يجري الفتى والمسنْ**

على ذا مننت وهذا خذلتَ * وهذا أعنت وهذا لم تعنْ**

فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسنْ**

(ما شئتَ كان وإن لم أشأْ *** وما شئتُ إن لم تشأْ لم يكنْ) المشيئة، (خلقت العباد) الخلق، (على ما علمتَ) العلم، (ففي العلم يجري الفتى والمسنْ) قد كتبه، ثم ذكر أنواع هؤلاء (على ذا مننت) التوفيق، (وهذا خذلتَ *** وهذا أعنت وهذا لم تعنْ

فمنهم شقي ومنهم سعيد *** ومنهم قبيح ومنهم حسنْ)

ومنه وتوفيقه، كما أن خذلانه لبعضهم ليس ظلما ﴿فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾فصلت٤٦، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾الكهف٤٩.

فهذه أركان القدر، والإيمان بالقدر، ركن عظيم، ويروى عن ابن عباس (القدر نظام التوحيد)، وإن كان الأثر فيه ضعف، فهذا حاصل الإيمان بالقدر، وإن كان فيه مسائل كثيرة تذكر، وفيه ما وقع فيه بعض أهل البدع من المخالفة لأهل السنة والجماعة، والحديث سرده ابن عمر استدلالا لمسألة إثبات القدر كما ذكرنا في قصة إيراد الحديث.

ولعلنا نكتفي بهذا القدر اليوم، على أن نتم في درس لاحق إن شاء الله تعالى.